



مدى

من زمن التوهج



ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة



للإعلام والثقافة والفنون

www.almasasupplements.com

رئيس مجلس الإدارة

رئيس التحرير

مخزي ليرج

العدد (4928) السنة الثامنة عشرة

الخميس (22) نيسان 2021

جعفر حسن

1944 - 2021

« 2

الفنان الموسيقي والمُلحن جعفر حسن

« 4

جعفر حسن: سَاحِي تراثي الغنائي
الضائع نتيجة اعتقاله وهجرته

« 6

الفنان جعفر حسن ..
ستون عاماً من العطاء



الفنان الموسيقي والمُلحن جعفر حسن

قاسم حسن

الفنان جعفر حسن ، فنان مرهف ، وصوت غنائي شجي ، موسيقي وملحن متمسك بسمو فنه ، ملتصق بهومو الناس والوطن ، وذائقته الشعبية العراقية ، بدأ مسيرته الفنية كمغني ، في الإذاعة والتلفزيون ، في الستينات من القرن الماضي ، وبرز صوته أكثر في الاحتفالات الجماهيرية مع ولادة الجمهورية العراقية عام ١٩٥٨ .

رحلته الفنية داخل العراق ، مرتبكة ، نظرا لكثرة المنوعات ، وحين أشتدت الحملة المسعورة لسلطة البعث ، على الفن والفنانين الملتزمين بقضايا الوطن والناس ، غنى في الإذاعة والتلفزيون ، وعندما أغلقت الدكتاتورية أبوابها بوجهه ، راح يغني ويعزف في المهرجانات والاحتفالات والمناسبات السياسية ، والجمعيات والنقابات ، الغير تابعة للسلطة ، وقاد فرقا غنائية صغيرة ، لتغني في بلدان أخرى ، كلبان وبرلين وموسكو ، وبلدان أخرى ، قبل ان يكون مصيره المنفى لاحقا .

هذا الفنان الملتزم امانة الفن ورسالته ، حمل آتته وصوته ليبعد عن الوطن ، وكانت رسالته تقول ، من أجل فن لايمتدح ولايساوم ، غادر الوطن كسائر المبدعين ، غير أن النظام وأزلامه في العراق ، طارده في كل مكان ، ليجد لنفسه منفى ، في عدن اليمن الجنوبية حينذاك ... مسيرته ليست عاديه وفيها الكثير ، الكثير من العقد والصعوبات يتحدث عن نشأته وصباه ويقول:-

(في طفولتي وصبائي في مدينة خانقين بدأت بالعرف على آلة الناي وكان عمري حينها لا يتجاوز الست سنوات وقبل دخولي المدرسة في محلة المزرعة في خانقين ، وعندما كنا نذهب الى المدرسة كنت اعزف في الطريق وتعلمتها فطريا ، وكنت اغني ، وتأثرت منذ الصغر بالموسيقى ، وكان لدينا في البيت (كراموفون) وكان والدي تاجرا ، وكانت لدينا العديد من الاسطوانات ، مثل القبانجي واسمهان وعبد الوهاب وزكية جورج وحضيري ابو عزيز وسليمة مراد وام كلثوم وعلي مردان ، وفي مرحلة الابتدائية اصبحت مطرب المدينة ... واعزف الناي ايضا ، وكنت اشترك في الفعاليات الفنية في المدينة ، وكنت اتابع واستمع لمطربي خانقين المشهورين آنذاك....

وفي سنة ١٩٥٨ عملت مع فرقة خانقين الموسيقية ، التي كانت تضم في صفوفها فنانين موهوبين ، فرحان كاظم ، نوري نعمة ومنصور الخياط ،



و عازف الناي نجم عبدالله (الذي كان عازفا رائعا وتأثرت به كثيرا) ، كان يصنع النايات بنفسه وتعلمت منه ذلك . انطلاقتي الاولى بدأت بالتحديد في احتفالات ثورة ١٩٥٨ وبدأت أغني في الحفلات الفعاليات والنشاطات في المدينة ، وكانت الحفلة الأولى (على ما أتذكر كانت في نقابة المعلمين في خانقين) ، لذلك كانت نشأتي الفنية في خانقين ، علما كنت اغني باللغتين الكردية والعربية.... عند انتقالني الى العاصمة بغداد وفي المرحلة المتوسطة ، في منطقة الكريمايات تحديدا ، كان بيتنا على مقربة من جسر الصالحية ، اراقب من على الجسر حفلات ، ناظم الغزالي ، وكيف كانت المطربة فائزة أحمد ، تغني وتنتقل بين الفواصل الموسيقية ، منفرجا ومنتعجا ، من خلال تلك الفجوة ، فوق الجسر ، بالإضافة الى المطربين الآخرين مثل عباس جميل ورضا علي وآخرين....

إحترف الفنان جعفر حسن ، الغناء والموسيقى ، قبل دخوله الى معهد الفنون الجميلة في بغداد ، حيث كان ضمن فرقة أبناء دجلة للموشحات ، مع الفنان روجي الخماش ... وفي لقاء خاص مع الفنان في مجلة الصوت الآخر الصادرة في كردستان العراق تحدث عن هذه التجربة ، والصعوبات ، والتعقيدات التي واجهته في مسيرته الفنية داخل الوطن قائلا :-

في عام ١٩٦٠ دخلت معهد الفنون الجميلة في بغداد وكنت في الوقت نفسه اعمل في الإذاعة مع فرقة أبناء دجلة للموشحات مع الفنان روجي الخماش وكنت مغني الصول ، واحب الموشحات كثيرا ،

و كنت ايضا ضمن فرقة الكاظمية الموسيقية ، لان دراستي الثانوية كانت في الكاظمية ، وكان والدي في حينه يتمنى ان اكون تاجرا او ضابطا في الجيش ، اما انا فلم اكن مقتنعا بالفكرة ، ولم يكن لديه القناعة بدخولي الى معهد فنون الجميلة ، ورغم دراستي في الثانوية ، الا انني تركتها و قدمت اوراقي الى المعهد ودخلت قسم الموسيقى وكنت معفوا في اغلب المراحل الدراسية ، واصبحت من مطربي الإذاعة والتلفزيون في الستينات ، وفي انقلاب عام ١٩٦٣ الشوفينية فصلت من المعهد ومنع علي دخول الإذاعة ، وفي عام ١٩٦٤ قمت بتسجيل الاغاني في إذاعة الكويت مع استاذي جميل بشير ، وكان يدير شركة (بشير فون) وهذا الشيء انكره دائما بان بدايتي كمطرب كانت من اذاعة الكويت قبل بغداد ، وبدأت الصحف تكتب بأن الفنان جعفر حسن يغني من اذاعة الكويت ولا يسمح له بالغناء في اذاعة بغداد وكانت هجمة صحفية في حينها الى ان رضخت لامر الصحافة وفسحوالي المجال في نفس العام ان اغني اول اغنية من الحان الاستاذ محمد القبانجي وكانت بعنوان (كلما أتمعن برسمك) وهذه الاغنية مددة ولحنه للمرحوم ناظم الغزالي وبعد وفاته قمت بغنائها .. ومثلت اول مسرحية غنائية بعنوان (كليوباترا) لأحمد شوقي ومن اخراج الفنان ابراهيم جلال ، وكنت قبلها مثلت مع فرقة الكاظمية عدة مسرحيات مع مجموعة من الفنانين العراقيين امثال حمودي الحارثي وقاسم الملاك وآخرين ، في عام ١٩٦٤ كنت احد الاعضاء المؤسسين لفرقة الرشيد للفنون الشعبية الى جانب فنانين كبار امثال الفنان جميل بشير وغانم حداد وسالم حسين وجميل سليم وجميل جرجيس وكاك قادر من السلبيمانية . وفي عام ١٩٦٨ جاء قرار حل الفرقة وتأسيس الفرقة القومية العراقية وكنت حينها المدير الفني للفرقة واحد المؤسسين للفرقة وقدمت عمالا كثيرة من ضمنها الديكات الكردية لغاية عام ١٩٧٢ حيث فصلت من العمل اضافة الى فصلي من الإذاعة والتلفزيون لأسباب سياسية ومنعت من دخولها على اثر مقابلة صحفية في جريدة النأخي في نهاية عام ١٩٧٣ وفي عام ١٩٧٤ فصلت من التربية والنشاط الفني نهائيا ثم اشتغلت عاملا في المطبعة . وتم اعتقاله وبعدها اضطرت الى الهرب الى خارج العراق مشيا على الاقدام . وعن إنشغالاته ونشاطاته ومشاريعه يقول الفنان جعفر حسن

.. أنا الآن مشغول بآتمام البومومي الجديد خلال ايام وبعد أن اتشافا... الالبوم فيه بعض الاغاني القديمة بتوزيع جديد كأغنية يابو علي ومساهرين وقبلييني ووصيئه وعمال نطلع الصبح بالإضافة للأغاني الجديدة كذلك سأنتهي قريبا من كتابي الأول



لنغني معاً... للحب للوطن للإنسان) الذي سيضم قرابة ١٣٠ أغنية من الحان مع النوتة الموسيقية والكلمات لهذا البحث عن دار نشر او مؤسسة أو اي كائن بشري آخر يهتم بذلك ..

وبالطبع هناك نشاطات فنية كثيرة آخرها البومومي الجديد رقم ٢٠ بعنوان (حبينك) يضم ٩ اغاني بعضها من اغاني السبعينات بتوزيع وتسجيل جديد والآخر جديد لأول مرة وسيصدر في آذار القادم . أما كتابي الموسيقي فلا زال يبحث عن النور وكتابي الآخر (من الذاكرة) فلازلت اكتبه كلما اسعفتني الذاكرة بالأحداث والذكريات والشخوص أما مشاريعي الموسيقية القادمة فهي عديدة منها البومومي جديد بدأت اخطط له ويضم الجديد من الألحان بالإضافة لبعض القديم بشكل وتوزيع جديد حيث أني انوي إعادة الكثير من الألحان التي سجلت في وقتها بشكل بسيط وتقنية بسيطة ..

بالإضافة لجولة فنية في الصيف القادم في بعض الدول الأوروبية وإقامة بعض الحفلات لجاليتنا العراقية.

الفنان جعفر حسن في سطور

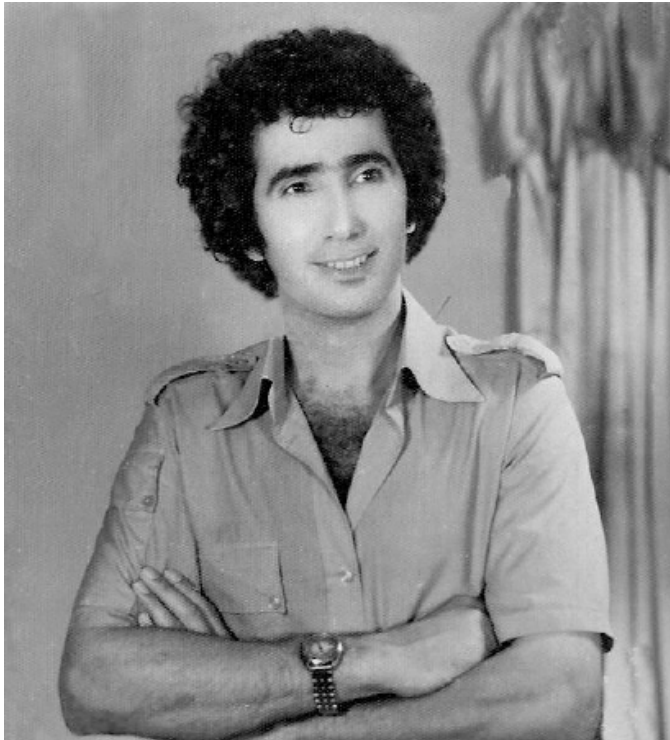
- ولد في مدينة خانقين
- بدأ العزف فطريا لآلة الناي و شارك في الاحتفالات الجماهيرية والوطنية .
- تعلم العزف على آلة العود ذاتيا .
- درس آلة (الكمان والفيولا والغناء) في معهد الفنون الجميلة - بغداد .
- عضو فرقة (أبناء دجلة) للموشحات الأندلسية في الإذاعة والتلفزيون - بغداد .
- شارك بالمسرح الغنائي بغناء مسرحية (مصرع كليوباترا) الشعرية لأحمد شوقي .
- عضو مؤسس ومطرب وملحن لفرقة الرشيد للفنون الشعبية العراقية .
- عضو جمعية الموسيقيين العراقيين .
- أول مطرب عراقي يلحن ويغني للأطفال .
- عضو مؤسس لفرقة موسيقى الجمهورية - بغداد .
- أسس معهد (دار الموسيقى) للدراسات الموسيقية الحرة - بغداد .
- شارك في أول أوبريت عنائي مصور (الأسرة السعيدة) لتلفزيون بغداد .
- شارك بالغناء في فلم (طريق الظلام) للسينما - العراق .
- عضو مؤسس ومطرب وملحن ومدير فني للفرقة القومية العراقية .
- عضو نقابة الفنانين العراقيين .
- لحن مسرحية (البنوع) لفرقة المسرح الشعبي ومسرحية (بهلوان آخر زمان) لفرقة مسرح اليوم - بغداد .
- أصدر أربع البومات غنائية بعنوان (لغني معا) .
- صدرت له اسطوانة في برلين بعنوان (لغني معا) .
- خلال مسيرته الفنية في العراق قدم العديد من الألحان والاوربيات والمسرحيات الغنائية والحفلات الغنائية لإذاعة - - - وتلفزيون بغداد والكويت وأسس العديد من فرق الشباب ، وقدم الاغاني الشعبية والوطنية بأسلوب غنائي جديد .
- ساهم بتأسيس وتدريب مجموعة فرق غنائية موسيقية للشباب - اليمن .
- عضو اتحاد الفنانين اليمنيين .
- من لحناته قدم ألبومه الغنائي الخامس (لغني معا) ضم العديد من الأصوات الغنائية اليمنية الجديدة .
- عمل أستاذاً ورئيس قسم الموسيقى والغناء في معهد الفنون الجميلة - عدن .



إستمعتُ الى مقابلة الفنان العراقي جعفر حسن على شاشة الميادين عبر برنامج بيت القصيد، تمتعتُ بالحديث وقلمي يُدون ماسمعتُه وهذه ملاحظاتي:
الفنان جعفر حسن يتمتع بتشخصية الفنان المثقف المناضل المتواضع ذكر في المقابلة مرتً علي ايام ولم يكن لي طعام ولا مصروف لوجبة طعام عاني من الغربة والغبن والاضطهاد والتشرد على يد النظام الدكتاتور صدام .



جعفر حسن والميادين



د. كاترين ميخائيل

غنى (لاتسألني عن عنواني، لي عنوان في كل مكان، تنبأ بمستقبله وأصبح له عنوان في كل مكان كونه دخل الى بيوت كثيرة في العالم من خلال لحنه وغناؤه)، وكتوى بمرض الغربة
جعفر حسن قارئاً ممتازاً لجماهيره، ومتحدثاً لبقاً، ومتابعاً لشؤون حياة المواطن في البلد الذي يعيشه وقد تعلم من تجارب الفنانين الآخرين، فهو يحمل هموم المجتمع الذي يعيشه على كتفه ليرتقي به إلى الأفضل غنى للمرأة للفلاح للعامل للطلبة غنى متضامنا مع الشعوب المنكوبة وفي مقدمتها الشعب العراقي الفلسطيني افريقيا وامريكا اللاتينية. أجاد غناء الاغنية السياسية استطاع ان يحظن الالام السياسيون .

يحترم من يجادلُه ويتعلم منه، و يُميز بين الأفكار والاتجاهات المختلفة، يشعر بمسؤولية كبيرة تجاه وطنه وتجاه الشعوب المظلومة . هدفه وضع كل امكانياته في خدمة الشعب العراقي المذبوح ويستمد قوته من ثقافة وتاريخ شعبه .
لم تستطع الحكومات السابقة والحالية المتتالية تقييم المثقف والفنان السياسي، حيث يحمل هموم الناس ويضعها امام السياسي ويتمتع بامور السياسة، وله وظيفة تشخيص اخطاء السياسيين وفق وجهة نظره ممكن ان تكون صحيحة او بالعكس والفنان هو جزء من هذه الشريحة الذي يحس مهمته تمثيل آراء جمهوره للدولة والجمهور وهي عملية تثقيفية وتوعية صحيحة في كل المجتمعات المتطورة .

ويُغني للعراق لليمن لسوريا للفلسطينية والامارات . أثبت انه يُبدع بفن الممكنات ويُخرجها بقلاب يتقبلها جمهوره وهذا جاء على لسانه إنه يتفنن بالشعر كي يتماشى مع لحن الاغنية وهذا روعة في الابداع الفني .
إنه الفنان الذي يُرشد الناس بلحنه وغناؤه وإختيار كلماته بأسلوب يراه مناسباً ليدخل السلام والطمأنينة الى قلوب جمهوره الذين يعيش بينهم حيث يتعلم يأخذ منهم ويعطي لهم . يُساهم لبناء البنية الاجتماعية السليمة بعيدة عن الطائفية والقومية المتعصبة في بلده العراق .

اثرت السياسة القمعية للانظمة الدكتاتورية تأثيراً سلبياً على تطوير ومحاربة المثقف العراقي وكان الفنان المعارض هو في المقدمة فوقع لاجئاً الى الدول الجارة هاربا من جحيم النظام الديكتاتوري الصدامي وكان جعفر حسن أحدهم . كانت الحكومات السابقة في العراق تُقيم الكاتب او الفنان وحتى الاكاديمي وفق نهجه السياسي في عمله وليس وفق امكانياته المهنية . هذا مما فقد الشعب العراقي طاقات هائلة واكثر مثال على فقدان العراق أحد فنانه جعفر حسن وأصبح لاجئاً في اليمن وأصبح يُلحن

- كتاب (المقامات العراقية) نشأتها وتطورها، (لم يصدر) .
- أسس أول ستوديو حديث للتسجيلات الصوتية-عدن .
- في اليمن لحن العديد من المسلسلات والمسرحيات الغنائية واللوحات التعبيرية منها مسلسل (الإعصار) ثلاثون حلقة ومسلسل الأطفال(سياحات يمنية) ثلاثون حلقة للتلفزيون ومسرحية الأطفال الغنائية(أحلام) ولوحة(حمام) ا التعبيرية وغيرها.
- قدم العديد من الفنانين الموسيقيين والمغنيين اليمنيين الشباب الجدد للساحة الفنية بالحن حديثة مستمدة من التراث اليمني . وعزفت معظم الفرق الموسيقية اليمنية من ألعانه .
- لحن مسرحية (سر الحجر) فرقة مسرح ليلي للطفل- أبو ظبي- دولة الإمارات العربية المتحدة .
- لحن مسرحية(القائل نعم والقائل لا) تأليف برخت - فرقة مسرح الاتحاد- أبو ظبي - دولة الإمارات .
- لحن مسرحية(الفرسان الثلاثة) فرقة مسرح ليلي للطفل- أبو ظبي- دولة الإمارات العربية المتحدة .
- البوم جديد من ألعانه وغناؤه بعنوان (الغريب).
- البوم غنائي جديد بعنوان (مقامات عراقية) مقامات وأغاني عراقية تراثية .
- البوم غنائي جديد بعنوان (ذكريات)عزف خماسي بغداد الورتري/ موسيقى وأغاني عراقية تراثية .
- البوم غنائي جديد بعنوان (حفلات) يتضمن بعضاً من حفلاته الغنائية .
- قدم العديد من الحفلات الغنائية والنشاطات الموسيقية في المجمع الثقافي - في دولة الإمارات العربية المتحدة واحتفالات الجالية اليمنية والعربية . وجولات عديدة في مختلف أنحاء أوروبا وأميركا وكندا .
- شارك في أكثر من خمسون مهرجاناً محلياً وعربياً وعالمياً وحاصل على العديد من الميداليات والشهادات التقديرية .
- لحن أكثر من ٥٠٠ لحناً موسيقياً وغنائياً .
عمد النظام الفاشي الى تشويه الكثير من المفاهيم ومظاهر الحياة الفنية والثقافية، وسعى بكل ثقله الى اجتثاث المضامين الثورية واليسارية التي تبنتها الاغنية، فظهرت منذ منتصف القرن الماضي ملامح الاغنية السياسية، كردة فعل للممارسات الفاشية والقمعية وغياب الحرية من قبل الانظمة والحكومات ذات العقلية التسلطية والشمولية .



غيتار جعفر حسن

علي عبد الامير

د

مع نهاية شهر آب وحين "يفتح
للشنا باب" تكون بغداد استعادت
شيئا من حيويتها التي تلت
بلهيب حقيقي على امتداد ثلاثة
شهور، ومع ايلول تطرق نسيمات
رقيقة على وجه المدينة الساخن،
غير ان تلك الطرقات تتحول هواء
عذبا ينعش الارواح في تشرين
الاول حين يتقدم الخريف تاركا
لبغداد ان تبتكر اجمل ايامها في
العام.

ع



لاجواء الحرب العربية - الاسرائيلية في تشرين
الاول (اكتوبر) ١٩٧٣، غير ان موهبة كوكب حمزة
الحنينة ابعدت عن التشديد ملمحه "المناسباتي"
وظل مشحونا بطاقات قادرة على التعبير (عن طاقة
الانسان وقدرته على التغيير) الى يومنا هذا.

ومع الجملة الاولى لاغنية "لا تسألني عن عنواني
.. انالي كل العالم عنوان" التي غناها بنشوة
وحماسة المطرب والملحن جعفر حسن، حتى راح
الجمهور يردد اللازمة بصوت هادر وكأنه تحول
كورسا من آلاف الحناجر، وهو ما فاجأ المطرب
الذي راح يوقع لحنه على الغيتار بنشوة بالغة.
اغنية قام لحنها السهل الممتنع على تدفق تعبيرية،
لحن مصاغ كي يرسخ في ذهن المستمع وروحه
عبر كلمات وضعها الشاعر كاظم السعدي، حد ان
انسجام الجمهور وتداخله في اللحن بلغ مستوى
ان ردد الاغنية شبيهة كاملة مع انتهاء حسن من
ادائها اول مرة. التدفق هذا انكسر ترانيم حزينة
مع اغنية جعفر حسن "سانتياغو" التي جاءت
مرثية للجزيرة اليسارية المؤودة في شبلي عبر
استحضار اسم عاصمة البلاد التي قدمت واحدا
من اجمل شعراء الاسبانية بعد لوركا: نيرودا.

واستدعى الملحن الراحل كمال السيد قصيدة
للشاعر الفلسطيني محمود درويش، بينما ترك
الشاعر فوزي كريم اثرا حبيبا حين غنى اعتمادا
على صياغة لحنية وادائية شخصية قصيدة عبد
الوهاب البياتي ومنها:

"ونحن من منقى الى منقى

ومن باب لباب

نذوي كما نذوي الزنابق في القراب"
كانه باختياره ذاك خلق نذيرا بالمناسباتي التي
سينتونها ابرز نجوم تلك التظاهرة النادرة
ورمزها الفاعلة:

صحيح ان الامسية قدمت ما سيعرف لاحقا
ب"الاغنية الشيوعية" كما في اغنيات "شيلي تمر
بالليل" و"عمي يابو جاكوج" و"يا ابو علي"
و"يابو مركب"، لكن صورة جعفر حسن هادرا
بصوته وضاربا برشاقة على غيتاره ظلت ايقونة
الحدث وعلامته التي استدعت من السلطة مجموعة
من الاجراءات بحق الفنانين المشاركين كي لا تتكرر
التجربة ونتائجها عميقة التأثير وجدانيا وفكريا.

على امسيات بغداد وتحديدًا على امتداد العشب
الاخضر في حديقة جمعية التشكيليين العراقيين
، وثمة هواء رقيق من الصداقة والفنون الرفيعة
، من فرح نادر وحقيقي، من لقاءات مفتوحة على
اتساع الحياة .

وفي حين كرست الصحافة العراقية الشيوعية
اسم الشاعر بابلو نيرودا والموسيقي فيكتور جارا
أيقونتين لتجربة شبلي "الثورية"، فان صورهما
كانتا تتوزعان اكثر من ركن في غاليري الجمعية
او حديثها لتتطابقا بعد حين مع ملامح الشاعر
سعدي يوسف والغني والملحن جعفر حسن الذي
تجمعه آلة الغيتار مع جارا.

المشهد الاكثر اثاره، فضلا عن التجمعات الانسانية
الفياضة بالمشاعر والأمال والتي كانت تعقب
انتهاء الفعاليات الثقافية، هو حفل غنائي تجمع من
اجله جمهور تجاوز العشرة آلاف شخص ضاقت
بهم حدائق "التشكيليين" فتوزعوا صعودا على
الاسيجة وكل ما يوفر اطلالة على مركز الحدث
حيث الفرقة الموسيقية وامامها تناوب الملحن الذي
كان حفر اسمه بقوة في الاغنية العراقية المعاصرة
كوكب حمزة ومنذ لحنه الاول "يانجمة" الذي
غناه حسين نعمة العام ١٩٦٩، والملحن والمطرب
جعفر حسن، والملحن كمال السيد (رحل العام
٢٠٠٠ في منفا بالاندلس) فضلا عن فرقة غنائية
قدمت نماذج غنية الدلالات في شكل كان استهلك
كثيرا من قبل ووقع في نمطية مديح الانظمة
الحاكمة وقادتها "الافذاذ"، الا وهو شكل "الاغنية
الوطنية".

وضمن بناء لحنى اقرب الى مداعبة الوجدان
الشخصي حتى وان كان جسرا نحو هم اجتماعي
جاءت اغنية كوكب حمزة "يا اطفال كل العالم يا
حلوبين" المقامة على نص الشاعر عريان السيد
خلف، كي تثير حيوية الجمهور المحتشد المنتشوق
لانغام وكلمات تتطابق مع فيض الاشواق والأمال
الذي كان هادرا يهز النفوس والارواح، كذلك
جاء نشيد القصير الغني بالحماسة ولكن دون
الوقوع في فجاجة "الاناشيد الحماسية" التي
كانت رسختها اذاعات الانظمة العربية، نشيد كان
وضعه (على عجل) القاص (حينها) والصحافي
سعد البراز وحمل عنوان "يطلعون" وجاء مناسبا

وقيمة الحدث "التضامني" ليست في عناوينه
الاممية بل في مسار تأثيراتها بين قطاع عريض
من الجمهور الذي بات واسع الدائرة، وهو ما دق
جرس الخطر بين اركان السلطة وجهازها الحزبي
والامني بقوة.

الشيوعيون العراقيون في فترات عملهم العلني
مبتكرو تظاهرات ثقافية واجتماعية اقرب الى
الاحلام اذا ما قورنت بحالهم وحال بلادهم
اليوم، فالحدث "اسبوع التضامن مع الشعب
الشيلي" بايامه الثقافية لم يكن يتوقف عند
الفعالية المعلنة لذلك اليوم، بل هو يمتد الى آخر
الليل مع نقاشات واحاديث بين اركان غاليري
التشكيليين وممراتها وحدائقها، مثلما يتنوع
في مجموعات تتحلق حول مؤامد عامرة بالمعرفة
والثقافة والمسرة في ان، وكما اسرنا مشاهد
أل شوقي الرائعين: خليل ومي ورونك حين
يوسعون مائدتهم لعدد غير قليل من المثقفين
والحبيين والاصدقاء، وثمة ايضا مائدة يوسف
العاني، ومائدة العاملين في صحيفتي "طريق
الشعب" و"الفكر الجديد" الذين كانوا الى جانب
الفنان التشكيلي يحيى الشيخ "داينو" الحدث
ومنظمه، وثمة مائدة كوكب حمزة "النجم" الذي
كان تتحلق حوله اجمل النساء واحلاهن ولهن كان
يعني على العود مالم يمنحها حينها بعد مطربين
كالحنان: "هوى الناس"، "صار العمر محطات"
و"الكنطرة بعيدة".

لم يكن الحدث مجرد "تضامن اممي" بل كان اعلانا
مدويا عن قدرة الثقافة التقدمية والوطنية العراقية
في اوائل سبعينيات القرن الماضي في تشكيل
نسق لا يسقط في فجاجة الثقافة "المتزمنة" بل
في احتفائه بالعناصر الجمالية حاضرة ومشعة
، وعبر ذلك النسق انتظمت كم هائل من التظاهرات
والاسباب الثقافية الذي توفر على نبض من
الصدق والاحلام قارب الوهم، ومن هنا يبدو المآل
الذي انتهت اليه مصائر اهل ذلك الحدث وتجلياته
الثقافية والانسانية متطابقا مع مآل بلادهم،
فكوكب حمزة اثر العودة الى منفا في الانمارك
بعد عودة حزينة وتجربة مريرة في المكان الذي
احب (عاد الى العراق في العام ٢٠٠٤، لكن جوا
من التشدد والعنف كان بدأ يسيطر على ايقاع
الحياة في البلاد فضلا عن استهداف المتطرفين
الاسلاميين للموسيقى والفنون الرفيعة بشكل
خاص). وصاحب اغنية "اننا كل العالم عنواني"
ارتضى بضيق التوصيف والمكان فالمطرب
جعفر حسن بات سعيدا ب"كريدته" هوية ثقافية
وانسانية وينتقل اليوم منصب مستشار وزارة
الثقافة الكردية، بعد خراب رهانه على "الرفاق"
في مقدرتهم على بناء الغد السعيد ودفع في رهانه
هذا اثمنا باهظة من الهجرات وكوابيس المطاردة
والخوف. كما ان اغلب من كان فاعلا ومؤثرا في
الحدث اما مات في منفا داخل البلاد بعد انكفاء
تجربة التحالف مع البعث او مات في صقيع
المنافي الاوروبية، وثمة ايضا من ينتظر ضربة
الالام والاشواق والحسرات الاخيرة كي تنقض
عليه بعد ان انتهى رعب صدام لينفتح الف مسار
من الرعب في البلاد التي ضاقت.

وليس بعيدا عن هذا الهشيم الذي صارت اليه
احلام التغيير الثقافي والاجتماعي، يبدو مآل
الآلاف الذين حضروا امسية الانغام المشهورة، فمن
"منقى الى منقى" كما غنى فوزي كريم قصيدة
البياتي الى عودة اغلب الحالمين الى "واقعهم"،
غير ان الفكرة ما انفكت تعتمل في قلوب "قديمة"
واخرى دخلت الى غوايتها مجددا.. اليوم تبدو
"جمعية التشكيليين العراقيين" شاهد قبر على
احلام الذين جمعتهم ذات خريف جميل في بغداد
١٩٧٣ .

وتشرين الاول العام ١٩٧٣ جاء محمولا على
اجنحة من الامل، فثمة انفتاح ثقافي وسياسي
اجتماعي ميز صيف ذاك العام عبر اعلان
"الجبهة الوطنية والقومية التقدمية" ودخول
النخب العراقية الاكاديمية والثقافية في "مناقسة
حقيقية مؤثرة عنوانها مشاركة واسعة في بناء
عراق عصري قائم على سلام سياسي واجتماعي
بعد عقد الستينات الدموي"، وثمة مسار شخصي
رحيب ابتدأته مع دخول الجامعة واحساسه
بملاح اولى الحرية الشخصية.

ما بين الانفتاحين الاجتماعي والشخصي، كان
هناك حدث شكل مفترقا لا في مساري الفكري
وحسب بل في مسار جيل من المثقفين العراقيين
وقطاع ليس بالضيق من شباب العراق في اوائل
سبعينيات القرن الماضي، انه "اسبوع التضامن مع
الشعب الشيلي" الذي شهدته "جمعية التشكيليين
العراقيين" في المنصور اعتمادا على جهود لافقة
لعدد من الفنانين والادباء والصحافيين الشيوعيين
واصدقائهم من العاملين في الحقل الثقافي .

الحدث وان جاء بعنوان عريض قائم على
التضامن الاممي "مع النظام اليساري في شيلي
الذي اسقطه انقلاب الجنرال بينوشيه في ١١ ايلول
١٩٧٣، الا انه فعليا كان تظاهرة علنية قد تكون
الاولى للثقافة الشيوعية في العراق بعد هزيمة تلك
الثقافة سياسيا واجتماعيا مع انقلاب شباط ١٩٦٣
الدموي، ومع ان الشاعر فوزي كريم "صدمني"
يرأي بدا صريحا اكثر مما ينبغي في اليوم الثالث
للاسبوع "التضامني" بان مثل هذه التظاهرات "لا
معنى جديا لها فالثورات الناجحة لا قيمة لها فكيف
بتلك المهزومة" الا انني شخصيا ومنذ اليوم الاول
للتظاهرة الثقافية والاجتماعية النادرة، احسست
ان الحدث عراقي الفكرة والمضمون وان جاء ضمن
اطار "اممي"، فثمة المئات بل الآلاف ممن كانوا
جمهورا متذوقا لاشكال الفنون الراقية في الرسم
والنحت والبوستر السياسي والموسيقي والشعر
فضلا عن التجمع حول عناوين من الكتب في شتى
مجالات المعرفة الانسانية.. هواء رقيق كان يهب

جعفر حسن: سألني تراثي الغنائي الضائع نتيجة إعتقالي وهجرتي

عبد الجبار العتابي



في اذاعة بغداد.

لماذا؟

كنت وقتها عضواً في فرقة انشاد وعازفاً وملحنًا، ولكن كمطرب لا يدعوني أغني، واذاعة الكويت اول اذاعة فتحت بابها لي، وأول عقد كان معها، سجلت عشر اغانٍ في استديو بشير فون الذي يمتلكه الاستاذ جميل بشير الذي فتح الابواب امام كل الفنانين العراقيين لدول الخليج، فكنا جميعاً نسجل هنا فضلاً عن أن جميل بشير هو استاذي في المعهد و علمني الاخراج الموسيقي والمونتاج وقت كنا نقطع الشريط بالمقص، وكنت اعمل عنده في الاستديو عازفاً وملحنًا ومغنياً واحياناً كورال.

متى بدأت تلحن لنفسك؟

منذ بداياتي، اول لحن في حياتي كان عام ١٩٥٩، وأنا بدأت على المسرح عام ١٩٥٨ بعد ثورة ١٤ تموز، انا من مواليد ١٩٤٤، وللعلم انا اعرف على آلة الناي منذ كان عمري خمس سنوات.

هل لديك في العائلة من له اهتمام بالفن؟

اجداداي يحبون الفن ووالدي رحمه الله شجعني كثيراً وهي تحب الفن، عزفت الناي التي هي التي الاولى ولا اعرف لماذا اخترتها، وفي مدارس مدينة (خانقين) كانوا يأخذونني لأعزف الناي الذي تعلمته فطرياً كما تعلمت العود فطرياً وصرت استاذاً بالعود، بينما درست في المعهد (فيولان وكمان) لذلك قلت لك الشهادة لا تخلق مبدعاً، الشهادة علمتني أن أقرأ النوتة الموسيقية فقط، لكنها لا تعطيك صوتاً ولا ابداعاً، وأنا اتألم وأترحم على من يختبئ وراء الشهادة من الفنانين، انا اعتبرها عيباً كبيراً اذا ما قالوا لي الدكتور الفنان فلان.

حين عدت الى بغداد هل شعرت انك خلال السنوات العشر الماضية اخذت مكائك الطبيعية؟

لا وزيارتي الاولى الى بغداد بعد ٣٠ سنة كانت تلبية لدعوة وزارة الثقافة لحضور افتتاح فعاليات مهرجان بغداد عاصمة للثقافة العربية، التقيت الكثير من الفنانين من مختلف الاجيال وتحاكينا، انا لا احمل ضغينة لأحد وأحب الكل.

كيف ترى واقع الأغنية العراقية؟

لا اريد أن اخوض في هذا المجال، ولكن حركة الحياة الاقتصادية والاجتماعية تؤثر على الحياة الفنية طبعاً، هذا هو الواقع الموجود ولكل زمان فنه الذي هو مرآة تعكس واقع المجتمع، وما نسمعه يعكس الواقع الموجود.

الوعي الفني والموسيقي عند الناس متردد قليلاً، ولكن أمل من الفنانين الجيدين ان يتقنوا هذه الحالة، فنحن بحاجة الى اغانٍ عراقية حقيقية، ولنا بحاجة الى أن نسمع اغنية جملها الموسيقية ليست عراقية فهناك اغانٍ كثيرة كلامها غير جميل وبهين المرأة والحبيبة، أنا اسمع اغاني مرفرة ما عدا القليل جداً، ولكن نقول ان الدنيا ما زالت بخير.

هذا الحوار نشر في موقع ايلاف عام 2012

من أفريقيا الى اميركا اللاتينية الى فلسطين التي اول من لحن للمقاومة الفلسطينية في الستينيات، وقد بدأت مع محمود درويش وتوفيق زياد وسميح القاسم، لحنت عشرات الاغاني للمقاومة الفلسطينية من ضمنها اغنية (ما دامت لي من الارض اشبار) و(شدوا وثاقني)، وأسست في لبنان فرقة عام ١٩٧٤ والان هم من كبار الفنانين، كما قدمت حفلات في أوروبا وشاركت في مهرجانات عالمية.

ما حكاية أغنية (يا حبي يا بغداد) التي اشتهرت بعد سقوط النظام 2003؟

قدمت هذه الاغنية قبل أن ادخل الى بغداد، قلت اريد أن يدخل صوتي قبل ذهابي، فكانت (يا حبي يا بغداد)، ارسلتها الى شبكة الاعلام العراقي في اول تأسيسها وعرضت، ومن ثم غنيت (يا بجلة الخير) للجواهري التي كانت اقوى من الاولى ولكن العتب على الاعلام العراقي فلم اتوقع أن يكون موقفهم بهذا الشكل، باستثناء البعض مثل العراقية والفيحاء والحرية فقط.

هل تعتقد أن هناك سرّاً معيناً وراء هذا الجفاء؟

لا اعتقد أن هناك سرّاً وراء هذا بقدر ما هي العلاقات، هناك شيء تعلمناه في أوروبا وفي العالم أن الاعلام هو الذي يبحث عن المبدعين، ولكن عندنا المعادلة بالعكس، على الفنان أن يذهب ويبيع الابواب ويتوسل، وأنا لم أقم يوماً، ولو قمت بها لما كنت قد تركت العراق اساساً، فأنا اعتبر أن كرامة الفنان فوق كل شيء وإن خسرها سيخسر كل شيء.

المفروض بالاعلام أن يحترم الفنانين الوطنيين والفنانين الذين اضهدوا في زمن النظام السابق، والفنانين الذين حملوا العراق في قلوبهم، انا ذهبت الى كل المهرجانات العالمية كنت اغني اغانٍ عراقية واحكي عن الشعب العراقي وتراثه، السر هو العلاقات، انا لست متكبراً بل انسان بسيط، ولكن اعتقد أن القضية لها علاقة بالاحتراف الفني، انا لاحظت مع كثرة السنوات التلفزيونية لا توجد قضية احترافية، فأنا غنيت قصيدة (اشواق) من الحان رياض السنباطي، ولكن لم تأخذها أي قناة لتعرضها، وانا غنيتها في مصر وعلى المسرح، وهذه الاغنية لحنها السنباطي لام كلثوم لكنها ماتت ولم تغنّها فغنيتها انا وغنيتها ميادة الحساوي فقط، فالذي يعني بهذا المستوى الا يستحق أن يسأل عنه الاعلام؟ وكذلك غنيت لسيد مكاوي ولحن مطربين مصريين منهم محمد منير، ولدي الحان في اليمن لا يعتقد أحد ان عراقياً اشتغلها.

هل غنيت من الحان آخرين؟

نعم، في بداية حياتي لحن لي الاستاذ جميل سليم الموسيقار الكبير الذي نسيه الاعلام، فأنا بدأت مع اغنية (كلما اتمعن برسمك انسى روحي وانسى اسمك) في الستينيات، وهي من كلمات الاستاذ محمد القبانجي مطرب العراق الاول والحن جميل سليم، بعد أن غنيت في مسرحية (انا وانطونيو) وكانت بطلتها الفنانة فوزية الشندي وهي من الحان الموسيقار محمد عبد الوهاب، وقعت عقداً مع الاستاذ جميل بشير لتقديم عشر اغانٍ لاذاعة الكويت سنة ١٩٦٤، كما غنيت من الحان عباس جميل، وعبد الحليم السيد، وانور الشبخلي، والاستاذ جميل بشير عازف العود الشهير الذي لحن لي اغنية في الاستديو الخاص به لصالح اذاعة الكويت وهي من كلمات سيف الدين لائلي، في اذاعة الكويت لدي اكثر من ٤٠ اغنية في الستينيات، اساساً انا بدأت حياتي الفنية في اذاعة الكويت حين كنت في الستينيات ممنوعاً من أن اغني

يكن هناك ارسيف لي، فصرت أجمع من افواه الناس والاشربة من هنا وهناك، ومن ضمن الاشياء التي اعيدتها (مسايرين) و (قيليني)، لقد قررت في كل اليوم جديد أن اعيد اغنيتين أو ثلاثاً.

لم تشتهر كمطرب اغانٍ عاطفية لماذا؟

انا اشتغل على اغانٍ وطنية وسياسية وانسانية، انا عشت الحياة طويلاً وعرضاً واعتبر نفسي خريج مدرسة الحياة، لأن الشهادة لا تخلق فناناً، لا الشهادات العليا ولا الجامعات قادرة أن تخلق مبدعاً، بل الحياة والمجتمع هما من يجعلان الفنان يبدع، أنا عشت الحياة مع الناس وعشت هومهم.

لماذا شهرتك كانت متذبذبة؟

منذ عام ١٩٧٣ منعت من دخول الاذاعة والتلفزيون، فقد كنت سياسياً معارضاً لا اغني للنظام فقط لأنني غير مقتنع بذلك، وكل انسان له حريته وقناعته، وفي وقتها كنت مشرفاً في النشاط الفني بوزارة التربية، وكنت في الفرقة القومية للفنون الشعبية، فأنا من الاعضاء المؤسسين للفرقة القومية العراقية، منذ فرقة الرشيد للفنون الشعبية عام ١٩٦٤، ولكنني فصلت من الفرقة وفصلت من التربية، ومنعت من الدخول للاذاعة والتلفزيون، حوربت في رزقي واشتغلت عاملاً في مطبعة، ومونتيراً من أجل أن تعيش عائلتي، واعتقلت مرتين وتأديت كثيراً، كل هذا لأنني رفضت أن اغني للنظام فقط ففكرت العراق.

اين كانت وجهتك؟

ذهبت الى عدن مشياً على الاقدام لأن المضطر يركب الصعاب، حينها كنت معتقلاً وخرجت، وكان لابد أن ارحل من البلاد، وهناك في عدن استقبلوني استقبال الابطال، فأغنيااتي كانت معروفة لديهم ومنتشرة هناك، واحتضنوني لمدة ٢٠ سنة، وبعدها غادرت الى الامارات.

وماذا قدمت لليمنيين طوال هذه المدة؟

اسست فرقا موسيقية وبنيت اول استوديو في عدن وعملت استاذاً وعميداً في معهد الفنون الجميلة، وأسست فرقا للشعبية وشاركت في مهرجانات عالمية وحصلت على عدة جوائز، وانتجت عشرات الاغاني في عدن، وما زالت اغنيااتي تعرض في تلفزيون اليمن وعدن، ولحننا لفنانين يمنيين كثيرين واكتشفت اصواتاً كثيرة وغنيت من التراث اليمني، وجدت بعض الاغاني التراثية اليمنية ومزجت ما بينها وبين التراث العراقي، وبخاصة التراث العدني والحضرمي لأنه قريب في الايقاعات والاوزان والشعر والموسيقى، ثم بعد ٢٠ سنة سافرت الى الامارات وكنت مستشار المجمع الثقافي في ابو ظبي.

لماذا تركت عدن بعد 20 سنة؟

ساعت الاوضاع بعد عام ١٩٩٤ بسبب الحرب وما عادت الحياة مثلما كانت، عدن كانت جنة وحياة وثقافة وفيها فرق موسيقية وغنائية وحضارة، وهذا المجمع الثقافي يعتبر اكبر مؤسسة ثقافية عملاقة في دولة الامارات، كنت مستشاراً فنياً للمجمع وبقيت فيه ١٠ سنوات، وبعد سقوط النظام في بغداد ٢٠٠٣ رجعت الى العراق.

اغانيك في عدن هل كانت تصل الى العراق؟

نعم كات تصل عبر تهريبها الى كل مكان، وفعلاً وجدت بعد أن عدت بعض الكاسيتات عند بعض الاصدقاء، علماً بأنني لم اغن لرئيس في حياتي، ولم اغن باسم حزب، انا غنيت للشعب وللوطن وللمرأة والطلبة والفلاحين، اغني اغنيات تضامنية مع شعوب العالم

يفخر الفنان جعفر حسن بأنه قدم أحياناً لعشرات المطربين اليمنيين والمصريين، وأنه غنى لحناً لرياض السنباطي كان قد لحنه لام كلثوم، ولكنه عاتب على الاعلام العراقي الذي لم يسأل عنه على الرغم من المسيرة الفنية الطويلة والمميزة له، والتي عانى فيها ما عانى من عذابات متلاحقة والمنع والغربة.

ويعد المطرب جعفر حسن (٦٩ عاماً) من رواد الاغنية السياسية حيث اشتهرت اغانيه في ذلك الوقت ورددها الناس، وهو ملحن وموزع موسيقي وعازف، شارك في مهرجانات عالمية كثيرة ونال جوائز عديدة.

ما هو جديدك؟

الألبوم رقم ٢٠ الذي أسميته (حبيباتك) ويضم مجموعة من الاغاني، ٣ منها قديمة وقد جددت توزيعها الموسيقي مثل (قيليني للمرة الاخيرة) و(مسايرين) كلمات جمعة الحلبي من مسرحية قدمناها سابقاً عام ١٩٧٥، وكذلك اغنية (يا بو علي) وهي من اهم الاغاني الانسانية كلمات كاظم السعدي، كما اعدت (لا تسألني عن عنواني)، وسجلت اغنية جديدة عن البصرة بمرافقة الخشابية عنوانها (البصرة).

هذه الاغنية من التراث الحضرمي القديم حينما كنت أعيش في مدينة عدن باليمن، حيث بقيت هناك لمدة ٢٠ عاماً، وهذا التراث عمره اكثر من ٢٠٠ سنة يغنون هذه الاغاني عن البصرة لأن لديهم تجارة البصرة، من ميناء المكلا وميناء الشحر في حضرموت، هذه الاغنية من مدينة الشحر، وقد فاجأني الصيادون هناك أنهم يغنون بلهجتهم عن البصرة فنزلت دموعي، كان ذلك عام ١٩٨٠، يغنون بشكل جميل لكنني لم احفظ منهم سوى هذا المذهب، وفي ما بعد كتب الشاعر الصديق ستار الساعدي مقاطع ولحنها وسوف اقدم الاغنية هدية لمدينة البصرة.

وايضا من ضمن الاغاني قصيدة للجواهري (سلم على الجبل الاشم)، واغنية (حبيباتك) للشاعر كريم الجسار، و(عمال نطع الصبح وقت الفجر)، اي أن المجموعة تتألف من عشر اغنيات ما زلت اشتغل على اثنتين.

وهل في اعادة التوزيع فائدة؟

طبعاً، والان انا اعمل على اعادة تراثي لأنه ضاع كله بعد الظروف التي واجهتها واعتقالي وخروجي من العراق في السبعينيات، وقد اعطوا ايعازاً بمسح كل اعصالي الغنائية في الاذاعة والتلفزيون، مسحوه كله، وحينما رجعت الى العراق الآن بعد ٣٠ سنة لم



الفنان جعفر حسن .. ستون عاماً من العطاء

رحيم الحلي



فنان عانى الظلم والتهميش ليس فقط من قوى الاستبداد بل حتى من الناس الذين عمل معهم سنوات عمره الطويل ، فنان اعطى الكثير للغناء والموسيقى واطنه لم يحصد ثماره التي توضعها مدن بعيدة لم تكن امنة من عاديات الازمنة الغبراء وتقلباتها ومن غدر اعداء الحياة والثقافة والنور وفتكهم برموز الابداع لكنه كان محظوظاً بسلامته رغم ان خصومه خططوا لتعطيل زمنه و اشعر انني شخصيا لم اضع زواني في واحتة رغم معرفتي الطويلة به وبجربته الموسيقية والغنائية ورغم المشتركات الكثيرة بيننا والمعرفة الشخصية القريبة ، فنان اشتغل كثيرا وطويلا في سبيل وطن اجمل وغناء احلى ، أغنياته راسخة في ذاكرة عشاق الوطن وفي ميدان الكلمة والغناء ، وفي ذاكرة الحالمين بعراق بلا سجان او حاكم مستبد . عاش حياة مليئة بالاجوع والاحزان بين سجن وحرمان وفصل او هجرة طويلة ، فنان اممي ووطني ويجب لغة اهله و انتماءهم القومي ويعشق اغانيهم ، نشأ في بيت طيب ، شرب روح الثورة من امه الثائرة بوجه الاستبداد والتي سجنتم وعاش معها في سجنها ليتعلم منها روح التحدي .

حين نذكر اغنياته او نتذكر اسمه نستحضر زماناً جميلاً حافلاً بالاحلام ومغمساً بالعذابات ، فهو يحلم بعالم جديد وسعيد ، وكما وصف الاعلامي زاهي وهبة تجربته وتلك الحقبة من حياته بالرومانسية الثورية وبقديري فان تلك التجربة المريرة جعلته سندباداً ينهني قاربه في شواطئ حضرموت حيث وجد مسكناً طيباً لقلبه العاشق فأحب مدن حضرموت واحب ناسها ومغنيها وبادلوه ذات الحب والتقدير .

هذا الفنان الجميل خرج الى الدنيا في مدينة خانقين حيث بدأت طفولته ، وفي احدى حاراتها عرّف على آلة الناي بشكل فطري ، وحيث عاش في بيت وجد فيه (كراموفون) ، وفي ذلك البيت استمع الى اسطوانات القبانجي واسمهان وعبد الوهاب وزكية جورج وحضير ابو عزيز وسليمة مراد وام كلثوم ، وابتدأ عشقه للغناء ووجه لآلة الناي واكتشف ذلك العشق وهو في سن الطفولة وقبل دخوله المدرسة الابتدائية وأصبح حديث المدينة ، في السنة الرابعة ابتدائي إنتقل الى بغداد لظروف عائلية وكان يبتهم على مقربة من الجسر في منطقة الصالحية ، ومن احد النوادي الليلية القريبة استرق السمع والنظر الى الحفلات الغنائية حيث كان يتابع من فوق جسر الاحرار المطل على ذلك النادي الليلي حفلات ناظم الغزالي ، والمطربة فائزة أحمد وهي تغني بين الفواصل بالإضافة غناء مطربين اخرين مثل سليمة مراد وناظم الغزالي ولبعة توفيق وعباس جميل ورضا علي وغيرهم وتعلق عشقه أكثر بالغناء وخاصة كانت الإذاعة على مقربة أمتار منه ويتمنى دخولها يوماً .

بعد ثورة ١٤ تموز مباشرة عاد مجدداً الى مدينته خانقين ليكمل دراسته المتوسطة فيها وفي نفس السنة ١٩٥٨ عمل مع مجموعة من فنانين خانقين على تأسيس فرقة خانقين الموسيقية كعغني ، واول حفلة شارك بها كانت في نقابة المعلمين في خانقين نهاية عام ١٩٥٨ ، لحن أول أغنية وطنية عام ١٩٥٩ وهو لم يزل في بداية طريقه الفني ، وبعدها في عام ١٩٦٠ عاد وانتقل الى بغداد مجدداً ليحقق حلمه الأبدى بالدخول لمعهد الفنون الجميلة والإذاعة والتلفزيون ، وبعد فترة قصيرة بدأ يغني في الحفلات الموسيقية ، ثم غنى في التلفزيون أغاني محمد عبد الوهاب القديمة ومثله شخصياً في برنامج أيام زمان الذي كان يقدمه الفنان خليل الرفاعي .

الحزب الشيوعي والشبيبة الديموقراطية آنذاك. كما نقل تجربته الحديثة في الأغنية التضامنية الإنسانية السياسية الى لبنان حيث ساهم في تأسيس فرقة الشبيبة اللبنانية ولحن لها عام ١٩٧٤ حين ساهم وفرقة الرواد في المهرجان الكبير الذي اقامه الحزب الشيوعي اللبناني في بيروت ، ومن اغانيه الشهيرة التي قدمتها فرقة الرواد وغناها مع الفرقة الموسيقية التي اسسها ودرّبها بنفسه مع عدد كبير من المنشدين والعازفين : لانسألني عن عنواني ، يابو علي وعمي يابو جاكوج وللمرأة غنوتنه وعمال نطلع الصبح و قبليني للمرة الاخيرة وغيرها كثير . تم اعتقاله في ١٩٧٨ في تلك الفترة الصعبة المليئة بالمتناقضات والمخاطر والمجازفات وبعد ذلك اضطر الى اللهرب خارج العراق مشياً على الاقدام الى اليمن الديموقراطية عبر رحلة شاقة للغاية .

وهو اول من لحن أغنية (الريل وحمد) للشاعر مظفر النواب عام ١٩٦٥ حين كان ما يزال طالباً في معهد الفنون الجميلة وتم قبول اللحن من قبل لجنة فحص الألحان والنصوص ولكنها رفضت من قبل مدير برامج الموسيقى آنذاك كون الشاعر مظفر النواب والمغني والمحسن جعفر حسن ذوي أفكار تقدمية يسارية . وفي هذا اللحن (مريئة بيكم حمد) للشاعر مظفر النواب لم يأخذ الفنان جعفر حسن الفرصة بتقدميه من خلال الإذاعة والتلفزيون بل بقي يغني في الحفلات الخاصة بمرافقة بعض الموسيقيين وكان لحنه سابقاً بعدة سنوات للحن الذي لحنه الفنان محمد جواد اموري والذي لحن مقدمة الأغنية بنفس الشكل وعلى مقام الحجاز بينما لحنه جعفر حسن من قبل على مقام العجم وكان الفرق الاختلاف بالمقام فقط ويمكن لأي موسيقي أن يحلل ذلك ، كذلك تكرر الامر في الحان أخرى .

لحن جعفر حسن عام ١٩٧٠ (اغنية اغضب كما تشاء) للشاعر نزار قباني وكان اللحن معداً للفنانة نجاة الصغيرة وكما جرى الاتفاق في بيروت مع الشاعر نزار قباني ، لكن ظروف الفنان المطارد جعفر حسن تسببت في ضياع فرصة ذهبية لانتشار هذا اللحن الرائع ، رغم ان الفنانة انوار عبد الوهاب قد غنته عام ١٩٧٢ بشكل جميل ولكن نجاة صغيرة ربما كانت ستنجح اكثر على توصيل هذه الاغنية الى جمهور اوسع . وكان هذا اللحن الكبير والأسلوب الجديد لأغنية (اغضب كما تشاء) قد أثار ثائرة فنانة السلطة ومسؤولي الإذاعة وقتها فقررروا أن يقطعوا عليه الطريق بشتى الوسائل ويحاربوه وأخيراً يمنعوهم من دخول الإذاعة .

الفنان جعفر حسن من الفنانين الكبار الذين ظلمهم الحكام اللؤساء ، القوميون والبعثيون والذين لم يتسامحوا مع اليساريين الذي كان الفنان جعفر حسن احد نشطائهم ، خرج جعفر حسن من العراق ومن موت محقق اعده له قادة البعث لكن الصدفة والحيطة تحالفوا لاقائه ، وفي انتخابات الفنانين عام ١٩٧٣ وأثناء التحضيرات اصطدم مع محمد سعيد الصحاف مدير الإذاعة والتلفزيون آنذاك وتلاسن معه حيث اراد البعث الهيمنة على نقابة الفنانين ولم يحصلوا الا على تسع وثلاثين صوت بينما حصل الشيوعيون

حينها من كلمات كاظم عمارة والحان أنور الشخيلي في فلم طريق الظلام من إخراج مؤيد وهبي وفي نهاية عام ١٩٦٨ جاء قرار حل الفرقة وتأسيس الفرقة القومية للفنون الشعبية العراقية وكان حينها احد المؤسسين للفرقة وأسس أول فرقة للإنشاد (فرقة كورال) في العراق تغني بتعدد الأصوات الهارمونية للأغاني الشعبية والفولكلورية وسجلت بعضها للإذاعة العراقية كأغنية طولي يا ليلية وأغنية إنعيمي وأغنية دادة عبد وبعض الموشحات الأندلسية مثل بدت من الخدر ، وكانت تظم خيرة أصوات الشباب والشباب الغنائية زاد عددهم عن ٣٠ عضواً حيث أصبح بعضهم لاحقاً من المطربين المعروفين أمثال أمل خضير والهيام حسن وغاه سالم ورياض أحمد وقحطان العطار وصلاح عبد الغفور وقاسم إسماعيل ورضا الخياط وعباس العطار وهادي سعدون وعارف محسن وغيرهم كثير وقدم أعمالاً غنائية والحان شعبية عديدة ، وفي عام ١٩٧٢ فصل من الفرقة القومية بعد عودته من مهرجان الجزائر وعاد للنشاط الفني في التربية والتعليم ، عام ١٩٧٣ منع من دخول الإذاعة والتلفزيون بسبب موقفه السياسية وعدم قبوله الغناء ومدح السلطة والنظام القائم وقتها ، كما فصل أيضاً من فرقة الموشحات حيث كان يعزف العود ويساعد الاستاذ روجي الخماش في تدريباتها ، وعلى اثر مقابلة صحفية في جريدة النخعي عن إشراكه في مهرجان الشباب العالمي في برلين وحصوله على ميداليات المهرجان حينها كانت حجة كافية لسلطة الإذاعة والتلفزيون لفصله ومنعه من دخولها بل وصل الامر بالإيعاز بمسح جميع أعماله الغنائية من الإذاعة والتلفزيون ، وفي عام ١٩٧٥ فصل من التربية والنشاط الفني نهائياً ثم اشتغل بعدها عاملاً في مطبعة طريق الشعب وصحفيًا فنياً ، في عام ١٩٧٢ أسس مع مجموعة من الشباب الموسيقيين فرقة (بيلز) وقدم العديد من الأغاني الوطنية والسياسية والشعبية (لانسألني عن عنواني ،اغنية يابو علي وعمي يابو جاكوج وعمال وغيرها) وفي عام ١٩٧٤ تأسست فرقة الرواد المركزية وأنظمت لها فرقة بيلز وعازفين آخرين وكورس وفرقة رقص شعبي وكان الفنان جعفر حسن يقودها ويلحن لها ويغني ، وشاركت الفرقة في كل الاحتفالات العلنية التي اقامها

عام ١٩٦٢ ترك دراسته الثانوية وتقدم للدراسة في معهد الفنون الجميلة في بغداد قسم الموسيقى ولمع بين اقرانه فقد دخل المعهد الفنون الجميلة وهو يجيد العزف على العود والناي والغناء ثم عمل في الإذاعة مع فرقة أبناء نجلة للموشحات مع أستاذة الفنان روجي الخماش الذي كان مهتماً به كموهبة متميزة ، ولم يكن والده راضياً بدخوله ولده جعفر معهد فنون الجميلة وهو يعتقد ان ابنه يدرس في الكلية العسكرية في بغداد حيث تمنى لولده ان يكون تاجرًا مثله او ضابطاً في الجيش .

اصبح جعفر حسن من مطربي الإذاعة والتلفزيون في منتصف الستينيات ، وفي الانقلاب العسكري في شباط عام ١٩٦٣ فصل من المعهد ومنع من دخول الإذاعة ولم تغني تلك الاحداث عزيمته وعشقه للغناء ، في عام ١٩٦٤ قام بتسجيل الاغاني عدة اغاني لإذاعة الكويت عن طريق شركة (بشير فون) لصاحبها الفنان جميل بشير اي أن بدايته كمطرب لم تكن من اذاعة وطنه بغداد بل كانت من اذاعة الكويت ، وقتها كتبت الصحف العراقية الوطنية عدة مرات أن الفنان جعفر حسن ممنوع من الغناء في اذاعة بغداد ويعني في الكويت ، بعدها اضطرت الإذاعة ومسؤوليها لقبوله كمطرب معتمد لدى الإذاعة والتلفزيون وسجل اول اغنية في اذاعة بغداد من الحان المحسن المعروف الاستاذ جميل سليم وكلمات الفنان الاستاذ محمد القبانجي بعنوان (كلما أتمعن برسلك) وكانت هذه الاغنية ملحنة كي يغنيها الفنان ناظم الغزالي لكنه أجل تسجيلها لحين عودته من سفرته الأخيرة الى لبنان ، وبعد عودته للعراق بيوم واحد توفي الفنان ناظم الغزالي وبقيت الأغنية تنتظر من سيغنيها . ثم أصبحت من نصيب الفنان جعفر حسن الذي غناها وإشتهرت في وقتها برغم الروف والمضايقات التي كان يلقاها .

شارك جعفر حسن عام ١٩٦٤ في أول مسرحية شعرية غنائية بعنوان (مصراع كليبواترا) لأحمد شوقي ومن إخراج الفنان ابراهيم جلال ، وقبل ذلك شارك في عدة مسرحيات ممثلاً مع فرقة الكاظمية مع مجموعة من الفنانين العراقيين ومن إخراج الفنان حمودي الحارثي ، في عام ١٩٦٤ كان احد المؤسسين لفرقة الرشيد للفنون الشعبية برئاسة عميد المسرح العراقي الأستاذ حقي الشبلي الى جانب فنانين كبار امثال الفنان سالم حسين وجميل بشير وغانم حداد وجميل سليم وجميل جرجيس وقادر كوردي وأنور الشخيلي وجمال جلال وفائق حنا وعقيل عبد السلام وغيره ، قدم خلالها العديد من الأغاني والحفلات في داخل وخارج العراق .

عام ١٩٦٧ وبعد تخرجه من معهد الفنون الجميلة أسس جعفر حسن وزميله عازف الكيتار فهبي يعقوب معهداً لتدريس الموسيقى بإسم (دار الموسيقى) في بغداد ضم اساتذة وطلبة كثيرين واستمر لعدة سنوات بالإضافة لعمله في فرقة الرشيد للفنون الشعبية . عام ١٩٦٨ شارك في اول تجربة سينمائية عراقية بغنائه وعزفه لأغنية (شارع الأحلام) التي إشتهرت



ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة



للإعلام والثقافة والفنون

فخرى ربيع

رئيس مجلس الإدارة رئيس التحرير

رئيس التحرير التنفيذي

علي حسين

سكرتير التحرير

رفعة عبد الرزاق

الخراج الفني

علي كاظم

يمكنكم متابعة الموقع الإلكتروني
من خلال قراءة QR Code:



www.almadasupplements.com
Email: info@almadapaper.net

طُبعت بمطابع مؤسسة للإعلام والثقافة والفنون



والاستشارات الفنية والعديد من الندوات والمحاضرات الفنية واللقاءات التلفزيونية والصحفية وشارك في العديد من المهرجانات العربية والعالمية والعديد من الجولات الفنية للجالية العراقية في كندا وأمريكا وأوروبا والدول العربية قدم خلالها الكثير من الحفلات والمهرجانات الغنائية، كما أنه حاصل على العديد من الجوائز والميداليات والشهادات التقديرية. قدم أغاني بمختلف الألوان الغنائية العراقية وبمختلف اللهجات واللغات كالعربية والكوردية والإنكليزية والألمانية والإيطالية ويعزف على العديد من الآلات الموسيقية والإيقاعية المتنوعة (آلة الناي والعود والكمان والأورغ والكيكتر وكونتر باص والطبلة والرق وبقاى الآلات الإيقاعية المختلفة) بالإضافة لهندسة الصوت والتسجيل والمونتاج بحيث يمكنه لوحده من تسجيل العديد من أعماله الموسيقية الغنائية آخرها اليوم حبيباتك واليوم عابر سبيل واليوم السفر فهو لا زال يلحن ويغني وينتج الألبومات الغنائية والموسيقية الجديدة. بالإضافة لكتابة كلمات بعض أغانيه وتصميم أغلفة الألبومات الغنائية وغيرها من أمور فنية عديدة بحيث أطلق عليه لقب الفنان الشامل في كثير من المحافل الفنية بالإضافة للصحف ومن خلال اللقاءات التلفزيونية.

وحيث تسأله عن الدراسات العليا والجامعات والشهادات وأنشغال الكثير من الفنانين بالحصول عليها وهل بإمكانها أن تخلق لنا فنانين مبدعين؟ يشارك القول (الجامعات والشهادات لا تخلق فنانين مبدعين إن لم تكن لديهم موهبة حقيقية واستعداد فطري.. فكتير من الفنانين المبدعين محليا وعالميا ليس لديهم حتى شهادة الابتدائية.. أنا أعتقد أن الشهادات التي يبحث عنها البعض بشكل محموم هي للوظيفة والوجهة فقط الموهبة والخبرة والتجارب العملية أهم من ذلك كله في خلق فنان مبدع حقيقي). جعفر حسن يعتبر على الإعلام العراقي بشدة ويحمله المسؤولية بالسكوت عما يجري من تردي لمستوى الثقافة والفنون وعدم إهتمامه بالفن والفنانين المبدعين الحقيقيين وبالأغاني الإنسانية الراقية والموضوعية والتي تمس مصالح وطموحات الشعب بغد أفضل، كما يشعر بالاسى اليوم على واقع الثقافة والفنون في العراق.. حيث المكتبات زوارها قليلون والقراء قليلون ومستوى تشجيع الفن والثقافة ضئيل جدا والأغاني والألحان في هبوط مستمر وفي تراجع بينما توجد إمكانيات تكنولوجية وستوديوهات وقضايات وأجهزة متطورة ولا يستفاد منها بشكل صحيح ولا تنتج فنا متميزا، كما أن أغلب المنتجين ليسوا مهنيين ولا لهم علاقة بالفن ويبحثون عن الربح السريع ولا يهتمهم المستوى الفني والثقافي وهذا ساهم بشكل سيء جدا في إنتشار الأغاني الهابطة التي نسمعها ونشاهدها يوميا بينما الفنانون الحقيقيون والحائهم وأغانيهم الإنسانية الجميلة لا تجد لها مكانا في وسط هذه الفوضى الغير خلاقة.

عام ٢٠٠٤ عاد جعفر حسن للوطن وإستقر في كورستان العراق بعد رحلة وهجرة قسرية دامت لأكثر من ربع قرن.. فهو يدعوا ويتأمل من الفنانين العراقيين الحقيقيين أن يتكاتفوا لإنقاذ ما تبقى من الفنون والثقافة العراقية وإعادتها لمسارهما الصحيح والحفاظ عليها.

جعفر حسن والمجمع الثقافي :-
من عام ١٩٩٧ ولنهاية ٢٠٠٤ عمل الفنان جعفر حسن مستشارا فنيا لدى المجمع الثقافي في أبو ظبي - دولة الإمارات العربية المتحدة. وقدم خلالها العديد من الحفلات الموسيقية والغنائية واصدر (اليوم الغريب) من الحائنه وغنائيه ولمجموعة من الشعراء العراقيين، وثلاث مسرحيات غنائية لمسرح ليلي للأطفال وثلاث مسرحيات لفرقة الإتحاد إحداهما للمؤلف الألماني بريخت وإخراج الفنان عوني كرومي وكذلك مسرحية من إخراج الفنان فاروق أوهان وغيرها، كذلك الف وعزف العديد من الموسيقى التصويرية لعدد من الأفلام التسجيلية وللكتاب المسموع وقدم العديد من الحفلات الغنائية والموسيقية والاماسي الفنية الثقافية في دول الخليج ومصر وأوروبا وكندا وأميركا. والفنان جعفر حسن واحد من أقدم رواد الأغاني الوطنية والسياسية الإحتجاجية اليسارية في العراق والوطن العربي ففمنذ ١٩٥٨ وقف على المسرح مغنيا وعازفا للناي، ولاحقا شارك في الكثير من المهرجانات المحلية والعربية والعالمية ومعظمها مهرجانات يسارية وشبابية وسياسية قدم فيها كل ماهو جديد في عالم الفن الملتزم ولحن عدد من المسرحيات الغنائية والمسلسلات التلفزيونية وهي بمجملها تمثل الفكر الوطني اليساري وتدعوا للوحدة والتسامح والسلام وبناء الانسان وصدر له أكثر من ٢٠ البوما غنائيا وإسطوانة.

جعفر حسن يعزف العديد من الآلات الموسيقية بإحتراف منها آلة الناي والعود والكمان والفيولا والكيكتر والباص والأورغ وأغلب الآلات الإيقاعية وهو مخرج ومهندس صوت محترف لديه ستوديو ومشغله الخاص أيضا حل وإستقر بحيث يسجل أغلب أعماله الفنية وخاصة الأخيرة بنفسه دون الإستعانة بموسيقيين آخرين وأخرها اليوم (حبيباتك) في ٢٠١٤ وله اليومين جديدين آخرين من الحائنه (عابر سبيل) مع الشاعر المعروف أحمد فؤاد نجم وكذلك اليوم (السفر) مع الشاعر كامل الركابي والفريد سمعان وعريان السيد خلف ونعمه يوسف وعبد الفالح الدراجي وعلي العصب وأشتي وآخرين من المؤمل أن يصدرهما خلال هذا العام إن وجد له منتجا وموزعا.

الفنان جعفر حسن ولد وتربى في مدينة خانقين التي يتكلم أهلها عدة لغات كما احتوت المدينة في الخمسينات على ستة دور للسينما ومكتبات وكان الكثير من الشباب مشغولين بقراءة الكتب وسماع الموسيقى في المقاهي الثقافية وانجبت المدينة عدد من الفنانين المعروفين والكتاب المبدعين والرياضيين،

تميز بتقديم الأغاني الوطنية بأسلوب غنائي جديد متميز من السهل الممتنع وبما يعرف (بالأغاني الإنسانية) وترجمت بعض منها الى اللغات العالمية. كما شارك في العديد من فعاليات المراكز الثقافية لمختلف الشعوب. وأسس عدد من استوديوهات التسجيل الصوتية في العراق واليمن والإمارات، وقدم العديد من المشاريع



على أكثر من اربعمائة صوت وكان جعفر حسن على رأس قائمة الفنانين التقدمية، كانت نتيجة تلك المراسلة أن امر الصحاف بمنع الفنان جعفر حسن من الغناء والتلحين ومن دخول مبنى الإذاعة والتلفزيون وإتلاف كل تسجيلاته الغنائية الصوتية والتلفزيونية..

عدن وتجربته الموسيقية والغنائية - ١٩٧٩-١٩٩٧
في جلسة غنائية في عدن في اليمن الجنوبي في الثمانينات، غنى جعفر حسن (قصيدة اشواق) من الحان رياض السنباطي وشعر مصطفى عبد الرحمن، كان احد الحضور من مصر وهو موسيقي سابق ويعمل في مكتب الامم المتحدة في عدن، سجل الأغنية في السهرة، وأخذ التسجيل الى مصر وكان على علاقة بالفنان الكبير رياض السنباطي وحين استمع السنباطي الى التسجيل طلب منه ان يأتي بالفنان جعفر حسن الى مصر قائلا (هو ده بيعمل ايه في اليمن؟) لم يتمكن الفنان جعفر حسن بجواز سفره اليمني وقتها من دخول مصر وحين سئحت له الفرصة بدخول مصر كان القدر السيء يقف مرة اخرى امام فناننا الراحل جعفر حسن حيث توفي السنباطي قبل أن يتمكن من الوصول الى مصر، استطاعت الفنانة ميادة الحناوي من الحصول على اللحن وتسجيله بصوتها.. فحفظ جعفر حسن ليس كحظ ميادة الحناوي..

في جمهورية اليمن الديموقراطية أسس (فرقة أشيد) الموسيقية الغنائية المشهورة التي ضمت العديد من الفنانين والمغنيين اليمنيين الشباب حيث قدم لها العشرات من الألحان والأغاني القديمة والجديدة ونقل تجربته في الأغنية السياسية والتحريرية التضامنية الإنسانية بنجاح وإقتدار إليها.. حين وصل عدن وجد أغانيه السياسية المتنوعة في العراق تسبغها إليها وتباع في الأسواق والازلت ليومنا هذا يريدها الشباب والشيوخ ومنها أغاني باللهجة اليمنية والإيقاعات والنكهة اليمنية بالإضافة لأغانيه العراقية العديدة فالكل هناك يغني يابو علي ويابو الجاكوج ونيرودا ولا تسألني وكذلك اغانيه اليمنية في اليمن الاقرب خلي وأغنية قالت عدن المعروفة وهيلا يا صياد وعشرات غيرها، كما أعاد صياغة بعض اللحان التراثية اليمنية بأسلوب جديد كما أن معظم الفرق الموسيقية اليمنية تعزف وتحفظ أغانيه والحائنه. كما حصل على شهادات تقديرية عديدة لجهوده في تطوير معهد الفنون وتأسيس فرق الشبيبة للموسيقى والغناء في المحافظات الأخرى وأسس أول ستوديو للتسجيلات الصوتية الحديثة في عدن عام ١٩٨٩، رغم مغادرته عدن واليمن منذ زمن طويل لكن حنينه إليها لن ينتهي، فهناك بقيت اثاره الموسيقية وأغانيه ومحاربه الذي يحكي ذكرياته وقصصه مع الغناء والناس والبحر والنوارس.

عام ١٩٨٧ ومن ثمرة لقاؤه بصديقه الشاعر أحمد فؤاد نجم في عدن لحن له مسلسل من ٣٠ حلقة بعنوان (مذكرات جحا) لإذاعة عدن ومجموعة أغاني اليومه (عابر سبيل) الذي سيرى النور أخيرا وبالإضافة لعشرات السهرات الغنائية التلفزيونية والاماسي الفنية التي إشتكرت فيها أيضا الفنانة إليهام حسن التي عارنتها منذ أوائل القرن وبقي مرقداه في مدينة عدن.

في بداية الثمانينات قام بتصوير اول أغنية فيديو كليب (مجالس الشعب) من الحائنه وغنائيه نالت شهرة واسعة وتم أعقبها بأغنية (مشكلتك إنته) من الحائنه وكلمات رسول الصغير وكانت هاتان الأغنيتان أولى الأغاني التي تم تصويرها بطريقة الفيديو كليب في عدن بين عامي ٨٦ و٨٧.

كما كان بيته مضيافا وملتقا للأصدقاء والفنانين اليمنيين والعرب الذين غالبا ما يحضرون للمشاركة في الإحتفالات والمهرجانات التي كانت تقام باستمرار ومنهم صديقه الحميمي الشيخ إمام والشاعر أحمد فؤاد نجم كذلك الشاعر عبد الرحمن الأبنودي والفنان محمد منير والفنان محمد حمام والفنانة محسنة توفيق والكتابة فتحية العسال والفنانة سميحة ايوب وعشرات غيرهم من الفنانين حيث كان جعفر حسن يشكل جسرا للتواصل بين الفنانين من مختلف أنحاء العالم المتوافين على جمهورية اليمن الديموقراطية.

من كتابات جعفر حسن التأمل في وجه الحرية

عندما نحاول التفكير في ما يطرح من مصادرة لشكل من أشكال الحرية، ومنها حرية الإبداع، تقفز في ذهن ضرورات تعود بالموضوع إلى أصله، بمعنى أن الحرية كل لا يتجزأ، وهي بالضرورة مسألة غير منجزه، إن السعي الإنساني الدؤوب نحوها، يمكن تصويره على أنه نزوع أصلي في الكائن البشري تابع من وعي الضرورة الذي يقضي إلى الحرية، حاوله الإنسان في صراعه مع أخيه الإنسان، وحاوله في صراعه مع قوى الطبيعة، التي يحس بعدم اكترائها لما يشعر به، ووظف كل ما استطاع العقل البشري أن ينجزه في سبيل تلك المعارك، فمهما حققنا من حريات، هناك شوق دائم نحو تلك الحدود التي لم نزرع أشجار الحرية فيها بعد، تلك الحدود التي تمثل صحراء الجهل وقواه التي تعمل بأيد خفية لكنها راصده، تكمن في تلك الأماكن المكشوفة تراقب وتعاقب.



جعفر حسن



لا إبداع بدون حرية، تبدو العبارة في التأمل الأول بسيطة، لكن البساطة تلك خادعة عندما نحاول الانسجام والتماسك المنطقي من الداخل، فالحرية ليست معطى أولي للوجود، الحرية هي إرادة إنسانية فاعلة، بمعنى إنه لا توجد نقطة خارج الذات البشرية تسيطر على فعلها الخلاق، وبالتالي يمكننا إدراك ضيق مساحة الحرية واتساعها، فالإبداع هو الذهاب نحو فتح الضوء، لكن الظلمة في ذاتها هي غياب الضوء، وبالتالي لا يمكن أن نرصد لحظة واحدة في الوجود البشري لا توجد به مساحة من الحرية، ولسنا نقول هنا قولة سارتر التي تشير إلى إن الإنسان محكوم بالحرية، وهو أمر ليس صحيحاً على إطلاقه، إذ إن نسبة الحرية هي التي تشير إلى مدى تحققها وانتشارها الفاعل. لا يخفى الإبداع بضيق هامش الحرية، انه المسئول الأول عن وجودها، وبالتالي الإرادة الإنسانية دائماً ما تجد الطرق والسبل نحو تحقيق هامش من الحرية أكبر، ويبدو في توهمي أن الحرية تسير نحو الاتساع، إلا في لحظات الانكسار التاريخي، إذ إنها فاعلية لا تسير دائماً في اتجاه واحد، وهي بطبيعتها تكتسب ولا توهب، ومن يتخلى عن الحرية في صالح الأمن لا يستحق أي منهما كما أشار احد الديمقراطيين القدامى، وتبدأ فاعلية الحرية بالحركة منذ تلك اللحظة التي نترك فيها اليقين المطلق، التابع من الإجابات الجاهزة التي ترد على كل سؤال مهما كان عصياً، لتوسع دائرة الجهل، عبر إبعاد العقل الفاعل المفكر في اليومي الحي، نحو الانطلاق إلى فضاء السؤال الذي يدفع للبحث وإيجاد إجابات متعددة على ذات السؤال، حتى وإن سبقت الإجابة عليه.

التأمل في وجه القمع

لسنا نقول ذلك لنهرب من فضاء الصراع الاجتماعي إلى فضاء التفكير النظري، وإن كان في الاعتقاد ذلك، فهو من أفق الوهم، يبدو أن المسألة تفوق إلى حد كبير مجرد تغيب المتكف إلى محاولة تغيب المبدع، ولعل المسألة تتعلق بالسلطة، ولا تتمثل السلطة في الحكومة على ما نعتقد في مجتمعاتنا العربية، إذ نحس أن الحكومة مجموعة من الأفراد، لكن حجر الدولة لا يكمن فيهم، فمن سلسلة العلاقات المتشابكة تبرز السلطة، وهي حجر النار للدولة التي تقدر به نيران توهجها، وهي تسير بألية إبقاء الوضع على ما هو عليه في المجتمع مع إعطاء هامش للحركة يمكنه امتصاص التغيير الخارجي مع بقاء السلطة على ما هي عليه. ولعل معطيات الحياة اليومية تشير إلى تساؤل مساحة الحرية، وبالتالي التضييق على المبدعين بعامة، على الرغم من تلك التوجهات التي أنتجها الوضع القهري بالنسبة

مباشرة وغير مباشرة، وبمجرد خسرتهم لتلك المصالح أو تهديدها، ذلك إنهم غير قادرين على التوجه نحو الإنتاج أو التحول إلى مهنة أخرى، وهو ما يفتح أفق التوجه نحو استخدام متطرف للعنف بشتى أشكاله، والناس في الدنيا لا يتصارعون على الأخرة، ذلك لأن الجنة وجهنم يمكنهما أن تسعا الجميع، ولكنهم يقتلون بعضهم بعضاً على أتفه أمور الدنيا.

لعبة الحواة

إن هذا التحالف الصامت هو ما يدفع الدولة نحو تقنين عمل مؤسسات المجتمع المدني، وضربها وتفتيتها، وإيجاد بدائل صورية عنها، وخلق مؤسسات موازية تقوم بالأدوار الفاعلة، بينما تحاول إبقاء مؤسسات المجتمع المدني هيكل خالية من المعنى، ولا توجد دولة عربية واحدة ديمقراطية يطبق فيها أهم مبادئ الديمقراطية، وهو التداول السلمي للسلطة في كافة المستويات، وتعمل الدولة على خلق أحزاب موالية خارج الحزب الحاكم ذاته كفعل احتياطي، ولإبراز وجود معارضة مفبركة أيضاً.

في كل ذلك تحاول السلطة التي طغى جبروتها وتضخمت، في الوقت الذي بدأ فيه إحساسها بالخطر الداهم، نتيجة لمعطيات معقدة، تحاول جاهدة التحكم في الإعلام، وأول ما تحتاجه في ذلك هو المثقف الموالي، وهو اعرفهم بالمثقفين في بلاده، وبالتالي تبوءه مراكز متقدمة في مراكز القرار، وعادة ما تختار الدولة عناصر قابلة للشراء من المثقفين المتوسطي الثقافة أو المؤمّنين باتجاهها، وبالتالي تدور معركة الإقصاء بيد أولئك النفر، وهم الذين يؤججون المعارك التي تقوم ضد المبدعين، ومع الانفتاح الديمقراطي صارت صحف المعارضة تتعرض لحملة شعواء من قبل جهاز المراقبة في الدولة، وهو أمر تدعي كل الدول خلوها منه، وتستعين الدولة بالقوانين البائسة للإعلام التي مررتها عبر البرلمانات، والتي تقضي بحبس الصحفيين والتجسير على الحريات الصحفية، وحرية النشر، وحرية الإبداع بالمنع والمصادرة، والتهديد والوعيد.

تعجيل الأضحية

تعرض العديد من المبدعين في كافة البلاد العربية لمسائل المصادرة والمحاكمة والملاحقة، ولم تنجو من ذلك حتى أقلام الموالاة، فمن محاكمات (موسى حوادة، ليلي العثمان) إلى منع رواية عبد الله خليفة (عمر شهيدا)، ومنع كتاب نادر كاظم (استعمالات الذاكرة)، وكتاب محمد السواد (أخطى وأطرف قضايا محاكم البحرين ٢٠٠٦)، إلى المنع المؤقت سابقاً لرواية (البرزخ) لفريد رمضان، إلى قتل ومحاولة قتل (ناجي العلي، فرج فودة، نجيب محفوظ)، ومحاكمة وتهجير (خليل عبد الكريم، نصر حامد أبو زيد، نوال السعداوي) إلى إصدار أحكام بالسجن على رؤساء الصحف في مصر،

للدول العربية، والذي دفعها نحو الانفتاح على متطلبات العولمة، ومنها التوجه نحو صيغ للديمقراطية، هي في طبيعتها تعبير عن خلط غريب للمفاهيم، ويبدو أن دولنا العتيبة اعتبرت الديمقراطية جزء من الغنيمة، وهي توزعها على أحزاب الموالاة للوصول إلى قمة البرلمان، ومن هناك تمرر لها قوانين متشددة تصادر منجز الحرية، وتعطيها الشرعية اللازمة، فهي التي تتحكم في توزيع الدوائر، وتحديد من يحق له الانتخاب والترشح، الخ، علاوة على التزوير الفاضح الذي تمارسه معظمها.

ارتباك المستباح

في هذا الوقت الذي باتت الدول العربية محط أطماع الاستعمار العسكري الجديد، تترك الدولة المهتدة باجتياح الجيوش في حالة عصيانها أو ممانعتها، فتظل تضغط على عناصرها وأحلافها المتمددين داخل اطر المجتمع، الماسكين لمفاصل الحياة اليومية للفرد، من أجل تشديد قبضتهم على المجتمع لتعريف اتفاقات بيع كل شيء. أولئك الأحلاف الذين يمثل معظمهم رجال أحزابها المتحالفين مع رجال الدين الموالين لها، وأتباعهم وأتباع أتباعهم، وهم الذين يحصلون على مستو متدن من التعليم البنكي سواء في المعاهد الدينية أو الحوزات، ولكنهم يعيشون حياة رفاه، يفوق كثيرا ما يتوافرون عليه من تحصيل علمي، ويسمون أنفسهم بالعلماء خلطاً وتشويشاً، ويتحكمون في معتقدات الناس، وصيرورة الحياة اليومية، ويمتنعون عن نقد السلطة، والإفقدوا امتيازاتهم لديها، وبالتالي تحصل السلطة على رصد جاهز متمدد في اطر المجتمع بالكامل، وهذا الجهاز يحصل على ترضيته الخاصة من الأموال التي تسمح له بجمعها على شكل تبرعات وهبات وصدقات، الخ، وبالتالي جهاز يكافئ نفسه بنفسه، فكما تعمق في المجتمع كلما توافر على خيرات مادية قادر بها للوصول إلى شراء النفوس، وهو يعمل بذات الطريقة مع السلطة أو كمعارضة لها.

هؤلاء هم الذين يشكلون جهاز المراقبة العامة للأخلاق، وهم الذين يحددون ما يجوز وما لا يجوز، وهم أيضاً من يحدد الذوق العام، وما يحدش الحياء... الخ من العبارات المطاطة التي ترتكز عليها بعض قوانين الدولة في محاكمة المبدعين، ومنهم من يقفي بتحليل دم المبدع وتطبيقه من زوجته، ومنهم من يرفع قضايا الحسبة على المبدعين، ويظل التعدي على جهلهم، هو تعد على الدين والدولة، الحياة الدنيا والأخرة، وتعديا على المراكز التي وصلوا إليها، وتهديداً لثروتهم التي يتمتعون بها دون الخلق، ومساساً بمراكزهم الاجتماعية المتقدمة، وبالتالي تستفهم بقع الضوء الكاشفة، ويخافون منها، ويستبدلون في سبيل طمسها. وهم الذين يشكلون جماعات الأمر بالمعروف والمراقبة للأخلاق، كما يحاولون تطبيق القانون بأنفسهم بطرق



ومسائلة عمل (قاسم حداد، مرسيل خليفة) المشترك في ربيع الثقافة البحريني من قبل لجان البرلمان.. الخ، كل ذلك على يد أصابع الدولة وأحلافها الصامتين، الذين يحاولون إسكات صوت العقل، بادعائهم كذبا امتلاكهم معرفة متكاملة أصيلة لا يأتيها الباطل من خلفها ولا من بين يديها.

والأدهى والأمر هو التغيب المتعمد والمشارك مع رؤساء الصحف للإبداع، فأول مساحة تتخلى عنها الجريدة في صالح الإعلام هي مساحة الثقافة، وتشترك الأحزاب المعارضة في تغيب الإبداع مع السلطة، فنلاحظ مثلا غياب الإبداع عن بعض صحف المعارضة التي تقفن في تخصصها السياسي، وكأن الإبداع ليس موقفا من الحياة ذاتها والمجتمع الذي نعيش فيه، وإذا كانت وزارات بكاملها مختلفة من قبل جهات دينية ما، فإن المسألة قد وصلت إلى حدود الفضائيات المتخصصة في اختطاف الإنسان من شؤون الحياة المعاصرة للتفكير في الموت، وهو موضوع غير ذي تجربة للإنسان، أو إصدار الفتاوى يارضع زملاء العمل، أو بأي يد نبداً الموضوع، بينما تقف حاملات الطائرات إلى جوار بيوتنا، الصواريخ مشرعة، وبلادنا مهددة بمزيد من التفنيت.

ويبدو للمتأمل أن هناك خلافاً في قوانين النشر والإعلام في الدول العربية قاطبة، فما يسمح بتداوله من المطبوعات في دولة عربية لا يسمح بتداوله في دولة جارة ليس بينها حدود طبيعية فاصلة، وتتساءل بشكل مشروع عن وظيفة جامعة الدول العربية؟ وجدوى وجودها، بسبب القتل السياسي العربي، وتشرذم قوانين النشر، فيفتخر بعض الموظفين بإعدام مواد إعلامية هائلة على الحدود البرية، ويتشدد موظف الجمارك تجاه الكتاب المطبوع في بعض الدول يمكن تمرير المواد المنوعة ولا يمكن تمرير كتاب ممنوع، وقوائم المنع التي تعطى لدور النشر في المعارض التي تقام تبكي من جفت دموعه. ولأن ذلك هناك قوانين تمنع تداول بعض الكتب الإبداعية مثل الشعر والرواية والقصص القصيرة وغيرها، علاوة على أن ذلك يتم ربما بسبب صورة على الغلاف وليس بسبب المحتوى.

مقال نشره الراحل

في موقع الحوار المتمدن عام 2009

عراقيون

ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون

